



ANNALES ISLAMOLOGIQUES

en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne

AnIsl 42 (2008), p. 25-47

Hiba Maḥmūd Sa'd 'Abd Al-Nabī

الزواج في أسر سلاطين المماليك. Mamālīk-al salāṭīn usar fī zawāğ-Al

Conditions d'utilisation

L'utilisation du contenu de ce site est limitée à un usage personnel et non commercial. Toute autre utilisation du site et de son contenu est soumise à une autorisation préalable de l'éditeur (contact AT ifao.egnet.net). Le copyright est conservé par l'éditeur (Ifao).

Conditions of Use

You may use content in this website only for your personal, noncommercial use. Any further use of this website and its content is forbidden, unless you have obtained prior permission from the publisher (contact AT ifao.egnet.net). The copyright is retained by the publisher (Ifao).

Dernières publications

9782724711714	<i>La pensée et la pratique pharmacologiques d'Avicenne</i>	Sylvie Ayari
9782724711899	<i>BCAI 40</i>	
9782724711288	<i>Karnak-Nord XI</i>	Colin Hope
9782724711622	<i>BIFAO 126</i>	
9782724711059	<i>Les Inscriptions de visiteurs dans les Tombes thébaines</i>	Chloé Ragazzoli
9782724711455	<i>Les émotions dans l'Égypte Ancienne</i>	Rania Y. Merzeban (éd.), Marie-Lys Arnette (éd.), Dimitri Laboury, Cédric Larcher
9782724711639	<i>AnIsl 60</i>	
9782724711448	<i>Athribis XI</i>	Marcus Müller (éd.)

الزواج في أسر سلاطين المماليك

إن الزواج سنة كونية دقيقة واسعة المدى، تتماشى وفطرة الإنسان؛ فمن خلال الزواج يكمل الرجل حاجته إلى المرأة وتكمل المرأة حاجتها إلى الرجل. والحديث عن الزواج يرتبط بكثير من التفاصيل حول عادات الزواج، وكيفية اختيار الزوج، والعلاقة بين أفراد الأسرة، واحتفالات الزواج، وغيرها. وبرغم اهتمام المؤرخين بالحياة الاجتماعية للعصر المملوكي، وإشاراتهم للاحتفالات المختلفة في هذا العصر، وطبقات المجتمع والعلاقات بينهم، والأمراض الاجتماعية التي ظهرت في ذلك الوقت، وغيرها من الجوانب الاجتماعية، إلا أن الحياة الخاصة لسلاطين المماليك ظلت في كثير من الأحيان مبهمه. إذ جاءت إشارات المؤرخين محدودة عن زوجات السلاطين وأبنائهم والعلاقات بينهم. كذلك أغفلت كثير من المراجع الحديثة الإشارة إلى الحياة الخاصة لسلاطين المماليك وعلاقة السلطان بأفراد أسرته وأزواج بناته وزوجات أبنائه. واكتفت كثير من المراجع بالإشارة إلى أن المماليك كانوا طبقة منعزلة عن سائر الشعب؛ فلم يتزوجوا منهم، بل اختاروا زوجاتهم وجواريتهم من بنات جنسهم^١. أما الدراسات التي كان بها مزيد من التفاصيل فقد أشارت بعضها إلى بعض عادات الزواج لدى سلاطين المماليك، ومظاهر الاحتفال بالزواج، ونفوذ بعض زوجات السلاطين^٢، والبعض الآخر أشارت إلى ظاهرة تعدد الزوجات وتملك العديد من الجوارى والتي كانت شائعة بين كثير من السلاطين^٣.

٢. أحمد عبد الرازق أحمد، المرأة في مصر المملوكية، ص ٥٣-٩٧. محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، ط ١، المجلد السابع، ص ٢٩٦-٢٩٨.
٣. سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص ١٢٨.

١. على إبراهيم حسن، دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر محمد بوجه خاص، ط ٢، ص ٢٤؛ وليم موير، تاريخ دولة المماليك في مصر، ص ٢٠٣؛ قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، ص ١٦؛ عصر سلاطين المماليك، ط ١، ص ١١؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، ط ٣، ص ٣٢٠؛ محمود الحويري، مصر في العصور الوسطى، ط ١، ص ٢٤٠.

لذا يبدو جلياً أن عادات الزواج لدى سلاطين المماليك والعلاقات الأسرية موضوع يحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث؛ ومن ثم جاء هذا البحث ليكمل الدراسات السابقة، ويلقي مزيداً من الضوء حول الزواج في أسر سلاطين المماليك. كما يهدف البحث إلى الإجابة عن كثير من التساؤلات مثل: كيف كان سلاطين المماليك يختارون زوجاتهم؟ وكيف كانوا يختارون أزواج بناتهم وزوجات أبنائهم؟ هل كانت مصاهرة السلطان تؤثر على نفوذ الأمراء بالسلب أو بالإيجاب؟ هل استخدم الزواج كوسيلة للوثوب إلى العرش أو لتحقيق أهداف سياسية؟ هل كان هناك زواج سياسي في العصر المملوكي؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات اعتمد البحث على ما توفر من معلومات وإشارات في كثير من المصادر المملوكية (حوليات وتراجم)، وعلى تحليل كثير من الأحداث التي ارتبطت بحياة سلاطين المماليك. ويمكن تناول هذا الموضوع من خلال تناول كل فرد من أفراد الأسرة على حدة حتى يسهل الإجابة عن الأسئلة السابقة الذكر.

السلطان المملوكي وزوجاته

على الرغم من أن السلطان المملوكي كان أهم شخصية في البلاد وكان محط الأنظار والاهتمام، إلا أن المؤرخين عنوانوا بالأحداث السياسية أكثر من عنايتهم بالحياة الشخصية للسلطان. فجاءت إشاراتهم لزوجات السلاطين وسرايرهم مقتضبة؛ إذ خلت المصادر - في كثير من الأحيان - من ذكر عدد زوجات كل سلطان، وتاريخ زواجه من كل زوجة، وعدد السراري والحظيات. وبالرغم من ذلك فإن الإشارات المحدودة التي أمكن تتبعها كشفت الستار عن كثير من الأمور الشيقة في حياة سلاطين المماليك:

زوجة واحدة أم عدة زوجات

من الواضح أن تعدد الزوجات كان هو السمة الأكثر شيوعاً في أسر سلاطين المماليك، ويبدو أن ذلك كان يهدف الإنجاب وتكوين أسرة كبيرة تضم العديد من الأبناء التي قد تتاح الفرصة لأحدهم للوصول إلى العرش. ووفقاً لما توفر لدينا من المصادر يتضح أن كثيراً من السلاطين كان لهم أكثر من زوجة، مثل: الناصر محمد بن قلاوون^٤، والصالح

٢، ص ٣٢١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ٢٣٨. كما تزوج الناصر محمد سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م من خوند طنباي أو دلنية بنت أزيك خان: المقرزي، السلوك، ج ٢/١، ص ٢٠٣-٢٠٥؛ الخطط، مجلد ٣، ص ٢١٤-٢١٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١/١، ص ٤٥١. ثم تزوج ابنة تنكز نائب الشام وانجبت له ولده صالح: المقرزي، السلوك، ج ٢/٢، ص ٤٦٠-٤٦٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ١١٩. وقد أشار المقرزي أيضاً إلى أن الناصر محمد تزوج أخت الأمير قوصون: الخطط، مجلد ٤/١، ص ٢٢٦.

٤. الزوجة الأولى للناصر محمد كانت خوند أردوتكين ابنة نوغية أو نوکاي: المقرزي، الخطط، مجلد ٣، ص ١٦٤؛ مجلد ٤/٢، ص ٧٨٦. ثم تزوج طغاي وصارت خوند الكبرى (بعد سنة ٧١٧هـ/١٣١٧م) وأنجبت له ولده أنوك: المقرزي، السلوك، ج ٢/١، ص ٢٣١-٢٣٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٧٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ط ٢، ج ١/١، ص ٤٥٢. انظر ترجمة خوند طغاي عند: المقرزي، السلوك، ج ٢/٣، ص ٧٩٤؛ الخطط، مجلد ٤/٢، ص ٧٨٦-٧٨٨؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة،

إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون^٥، والكامل شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون^٦، والأشرف شعبان بن حسين^٧، والظاهر برقوق^٨، والمؤيد شيخ^٩، والأشرف برسباي^{١٠}، والظاهر جقمق^{١١}.

٩. كان متزوجاً من خوند خديجة في أيام إمرته واستمرت معه بعد أن تسلطن وعرفت بخوند قاعة رمضان: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٥، ص ٢٠٢. كما تزوج خوند زينب ابنة الظاهر برقوق: انظر ترجمتها عند ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص ١١٧؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص ٣٩، حاشية (٣). كذلك تزوج خوند سعادات بنت صرغتمش وأنجبت له ولده أحمد: المقرئ، السلوك، ج٤/١، ص ٤٩٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٤٧؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٦٢. كما تزوج ابنة تم الحسني وأنجبت له ولده محمد: المقرئ، السلوك، ج٤/١، ص ٤٥٢.

١٠. الزوجة الأولى لبرسباي كانت فاطمة بنت قجا وقد ظلت خوند الكبرى حتى توفيت سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٤م، وكانت أم ولده محمد. انظر ترجمتها عند: المقرئ، السلوك، ج٤/٢، ص ٦٧٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص ١٢٣؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص ٦٣؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٩٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٩٢. بعد ذلك تزوج جليبان التي أنجبت له ولده يوسف وصارت خوند الكبرى: المقرئ، السلوك، ج٤/٢، ص ٩١٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص ١٤٤؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص ٥٢. انظر ترجمة جليبان عند: المقرئ، السلوك، ج٤/٢، ص ٩٨٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص ١٦٦؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص ٣٢٦؛ المنهل الصافي، ج٥، ص ١٦٦؛ الدليل الشافي، ج١، ص ٢٤٩؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص ٣٦١؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ١٧. ومن زوجات برسباي أيضاً فاطمة بنت ططر التي ورد ذكرها عند: المقرئ، السلوك، ج٤/٢، ص ٩٤٦؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٦٠؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص ٣١٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ١٦٢. أنظر ترجمة فاطمة بنت ططر عند: السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٩٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٣٨. ذكر ابن إياس أيضاً أن الأشرف برسباي تزوج أيضاً خوند بنت الأتابكي يشبك الأعرج؟ وخوند التركمانية ابنة عثمان متملك الروم: ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ١٩٠. انظر ترجمة خوند التركمانية عند: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ١٧٨؛ حوادث الدهور، ط١، ج٢، ص ٥٥٩-٥٦١؛ الدليل الشافي، ج١، ص ٣١٦؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٣٧.

١١. الظاهر جقمق تزوج مغل بنت البارزي وكان ما يزال أميراً واستمرت زوجته بعد سلطنته، حتى طلقها سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٨م: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٣٨٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٢٠٠، ٢٦٣. انظر ترجمة خوند مغل عند: الصيرفي، إنباء المهر، ص ٤٢٦، ٤٦٤-٤٦٧؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ١٢٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٧٠. في عام ٨٤٢هـ/١٤٣٨م تزوج الظاهر جقمق من زينب ابنة جرباش الكريمي: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٤٦٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٢٢٣. انظر ترجمتها عند: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ٢١٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٣٥٨.

٥. الصالح إسماعيل تزوج ابنة الأمير أحمد بن بكتمر الساقى من بنت تنكز سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٢م: المقرئ، السلوك، ج٢/٣، ص ٦٢٣. ثم تزوج ابنة طقزدمر الحموي في السنة التالية: المقرئ، السلوك، ج٢/٣، ص ٦٥١. كما تزوج ابنة بكتمر الساقى: المقرئ، السلوك، ج٢/٣، ص ٦٨٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ١١٩.

٦. الكامل شعبان تزوج ابنة بكتمر الساقى سنة ٧٤٦هـ/١٣٤٥م: المقرئ، السلوك، ج٢/٣، ص ٦٨٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ١١٩. ثم تزوج بنت طقزدمر الحموي في نفس العام: المقرئ، السلوك، ج٢/٣، ص ٦٩٠. ثم تزوج ابنة تنكز التي كانت زوجة أخيه؟: المقرئ، السلوك، ج٢/٣، ص ٧٢٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ١٥٣. وأعتقد أن المقصود هنا ابنة بنت تنكز لأن المقرئ سبق أن ذكر أن الصالح إسماعيل تزوج ابنة الأمير أحمد بن بكتمر من بنت تنكز، فيبدو أنها هي المقصودة وأن الكامل شعبان تزوجها أيضاً بعد أخيه.

٧. أشار المقرئ إلى أن الأشرف شعبان كانت له ثلاث زوجات هن: خوند الكبرى ابنة عمه السلطان حسن، وابنة الأمير تنكز بغا، وابنة الأمير طغاي تمر النظامي، وقد طلقهن جميعاً سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٥م: السلوك، ج٣/١، ص ٢٥٦. كما كانت ابنة منكلي بغا الشمسي أيضاً زوجة له، وتوفيت في نفس العام: السلوك، ج٣/١، ص ٢٦٣.

٨. الظاهر برقوق تزوج فاطمة ابنة منجك اليوسفي سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م: المقرئ، السلوك، ج٢/٣، ص ٥١٣؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص ٩٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١/٢، ص ٣٤٥. ثم تزوج هاجر ابنة منكلي بغا الشمسي سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م: المقرئ، السلوك، ج٢/٣، ص ٥٤١؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص ١٢٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١/٢، ص ٣٦٨. انظر ترجمة هاجر عند: المقرئ، السلوك، ج٤/٢، ص ٨٤٧؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص ٢١١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ١٣٤. كما تزوج شيرين أخت تغري بردي (أو ابنة عمه) وأنجبت له ولده فرج، انظر ترجمتها عند: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٦، ص ٣١٦؛ الدليل الشافي، ج١، ص ٣٤٨؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص ٦٩؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٦٩. وفي سنة ٧٩٤هـ/١٣٩١م تزوج بنت الأمير علي بن أسندمر نائب الشام: ابن إياس، بدائع الزهور، ج١/٢، ص ٤٤٩. وفي نفس العام تزوج ابنة الشهابي أحمد بن الطولوني معلم المعلمين: المقرئ، السلوك، ج٢/٣، ص ٧٦٣؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١، ص ١٠٠؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص ٣٤٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١/٢، ص ٤٥١. وفي عام ٧٩٦هـ/١٣٩٤م تزوج تندي بنت الحسين بن أويس سلطان بغداد: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص ٥٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١/٢، ص ٤٦٦؛ انظر ترجمة تندي بنت حسين عند: السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ١٦؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص ٢٨٦. كذلك ذكر السخاوي أن الظاهر برقوق تزوج أرتو ولم يذكر أية معلومات عنها: الضوء اللامع، ج١٢، ص ٦.

أما أن يكون للسلطان زوجة واحدة فيبدو أن هذا كان أمراً مستغرباً في ذلك الوقت، أو على الأقل أمراً يستحق الإشارة إليه والتوقف عنده. فنجد أن الأشرف إينال «لم يتزوج سوى أم أولاده زينب بنت خاص بك» - على حد قول ابن إياس^{١٢}. وقد توقف ابن تغري بردي عند هذا الأمر، وعلق عليه بقوله: «وكونه منذ تزوج بها من حدود سنة خمس وعشرين إلى يومنا هذا لم يتزوج غيرها، حتى ولا تسرى أبداً أميراً ولا سلطاناً، وهذا شيء لم نعهد مثله في سالف الأعصار، فإن عادة الملوك الزواج بأربع نسوة، وأما الحظيات فكثير»^{١٣}. وبالمثل علق السخاوي على نفس الأمر بقوله: «تزوجها إينال الأجرد في إمرته في حدود سنة خمس وعشرين وثمانمائة بعد أخت لها ماتت تحته، ولم ينفك عنها ولا بعد تملكه، حتى مات، ولم يتزوج عليها بل ولا تسرى، وكل أولاده - المؤيد أحمد وغيره - منها بحيث انفرد عن سائر الملوك بذلك»^{١٤}.

كذلك كان للظاهر خشقدم زوجة واحدة هي خوند شكرباي الجركسية الناصرية، التي قال عنها السخاوي في ترجمتها: «تزوجها خشقدم وهو حينئذ خاصكي، فاستولدها ثلاثة، ودامت معه حتى تسلطن وصارت خوند العظمي، وراعى قدمها، فلم يتزوج عليها بل تسري بعدة سرار صرن أمهات أولاده، مع انزاله عنها ومزيد اختصاصها ومحبتها إلى أن ماتت وقد قاربت الثمانين»^{١٥}. وأيضاً السلطان قايتباي كان له زوجة واحدة هي فاطمة ابنة العلاي علي بن خاص بك، التي استمرت معه إلى أن مات وأنجبت له ولداً وبتناً، كلاهما توفي في حياته^{١٦}.

وإذا كانت هذه الأمثلة أشار فيها المؤرخون صراحة إلى أن السلطان كان له زوجة واحدة فقط، فإن ثمة مصادر تشير إلى أن بعض السلاطين كان لكل منهم زوجة واحدة فقط، دون التصريح بأنها الزوجة الوحيدة؛ لذا فنحن لا ندرى على وجه اليقين ما إذا كانت الزوجة المذكورة هي الزوجة الوحيدة للسلطان أم أنها أهم الزوجات، ومن ثم أغفلت المصادر ذكر الآخرين. من هؤلاء السلاطين الناصر حسن، إذ لم تشر المصادر إلا لزوجته خوند طولوبية^{١٧}، والناصر فرج بن برقوق لم نعرف عنه سوى زوجته فاطمة ابنة تغري بردي^{١٨}. كذلك لم نعرف عن الناصر محمد بن قايتباي سوى زوجته مصرباي الجركسية^{١٩}، وعن جان بلاط زوجته أصل باي الجركسية^{٢٠}. وكذلك لم يصلنا عن زوجات العادل طومان باي سوى خوند فاطمة ابنة العلاي علي بن خاص بك^{٢١}.

١٤. السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٤٤.
١٥. السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٦٨. انظر أيضاً: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٤٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٤٣٥.
١٦. الصيرفي، إنباء المصغر، ص٦٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٣٢٦ وترجمه فاطمة: ج٤، ص٦٤. ويذكر ابن إياس أن محمد بن قايتباي كان من سريته أصل باي.
١٧. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٦. انظر ترجمة خوند طولوبية عند: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٨٤؛ الدليل الشافي، ج١، ص٣٧٤-٣٧٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١/ق٢، ص١٥.
١٨. المقرئ، السلوك، ج٣/٣، ص١١٧٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٣، ص٤١؛ المنهل الصافي، ج٤، ص٣٩.
١٩. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٣٩٩.
٢٠. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٤٢٨-٤٢٩.
٢١. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٤٦٩.

وفي العام التالي تزوج نفيسة ابنة ناصر الدين محمد بن دلغادر: المقرئ، السلوك، ج٤/٤، ص١١٨٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٣٣٧-٣٣٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٢٢٣. انظر ترجمة نفيسة بنت دلغادر عند: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٥٤٢؛ حوادث الدهور، ج١، ص٢٣٦؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص١٣٠؛ التبر المسبوك، ج٢، ص٢٢٥. كما تزوج شاه زاده بنت عثمان ملك الروم: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٤٦٤. انظر ترجمتها عند: ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٣٢٩. كذلك تزوج الظاهر جقمق كل من: ابنة حمزة بك بن ناصر الدين بن دلغادر، وابنة كرتباي الجركسية: ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢، ص٢٢٤؛ السخاوي، التبر المسبوك، ج٢، ص١٨٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٢٧٦؛ وابنة الزيني عبد الباسط: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٤٦٤؛ السخاوي، التبر المسبوك، ج٣، ص٩٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٢٨٩.
١٢. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٣٦٧.
١٣. ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢، ص٥٢٥.

الزواج بهدف توطيد علاقات سياسية خارجية

شهد العصر المملوكي بعض حالات الزواج الذي يمكن أن نطلق عليه اسم «الزواج السياسي»؛ حيث يهدف إلى توطيد علاقة السلطان المملوكي مع بعض حكام البلاد المجاورة من خلال المصاهرة. أو قد يكون زواج السلطان بابنة حاكم البلاد المجاورة بهدف ضمان ولاءه وموالاته للسلطان المملوكي.

أول وأوضح الأمثلة لهذه الزيجات نجدها في سيرة الملك الناصر محمد بن قلاوون؛ فقد أراد أن يرسي دعائم السلام بينه وبين أذربك ملك التتار، فأرسل إليه يخاطب بتناً من الذرية الجنكزية. وقد وافق أذربك وأرسل إليه ما يشبه الخطة لتحقيق هذا السلام، ويكون الزواج جزء منها وهي: «سنة سلام، وسنة خطبة، وسنة مهادة، وسنة زواج»^{٢٢}. وبعد تبادل المراسلات والمناقشات قام أذربك بإرسال العروس إلى مصر، وكان ذلك عام ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م. ومن المهم في هذا السياق أن نعرض ما ذكره المقرئزي حول رسالة أذربك إلى الناصر محمد، ورد الناصر عليه، إذ يقول: «وفي يوم الاثنين ثاني ربيع الآخر جلس السلطان للرسول، وحضر كبيرهم باينار... فبلغ السلام. وقال: أخوك أذربك، أنت سيرت طلبت من عظيم القان بتناً، فلما لم يسيرها لم يطب خاطرك، وقد سيرنا لك من بيت كبير، فإن أعجبتك خدتها بحيث لا تخلي عندك أكبر منها، وإن لم تعجبك فاعمل بقوله تعالي: إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها. فقال السلطان: نحن ما نريد الحسن وإنما نريد كبر البيت والقرب من أخي، ونكون نحن وإياه شيتاً واحداً»^{٢٣}. وفي هذا الرد إشارة واضحة وصرحة إلى أن هذا الزواج سياسي بحت. وهناك مثال آخر للزواج السياسي في عصر الظاهر برقوق؛ فعندما هاجم تيمورلنك بغداد عام ٧٩٥هـ/ ١٣٩٣م فر القان أحمد بن أويس صاحب بغداد ورحل بأمواله وأولاده إلى مصر. وعندما وفد إلى مصر أحسن الظاهر برقوق استقباله واستضافته، ثم عقد على تندي ابنة أخي القان أحمد، والتي حضرت مع عمها وتزوجها^{٢٤}. وكان هذا الزواج بمثابة مساندة من الظاهر برقوق للقان أحمد، وتأكيداً لأواصر العلاقة بين البلدين. وهناك مثال ثالث يتضح في علاقة الظاهر جقمق مع صاحب الأبلستين ناصر الدين محمد بن خليل بن قراجا بن دلغادر؛ إذ كان كثير الفتن والخروج عن طاعة السلطان. وقد اتفق ناصر الدين مع الأتابك جانبك الصوفي على الخروج عن طاعة السلطان والمشاقفة، وتزوج جانبك ابنة ناصر الدين «نفيسة» واستولدها بتناً ثم فارقها. ثم قرر ناصر الدين الدخول في طاعة السلطان، فجاء إلى مصر ومعه ابنته، فأحسن السلطان جقمق استقباله وتزوج ابنته، وكان ذلك في عام ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م^{٢٥}. فكان هذا الزواج بمثابة تأكيد على طاعة ناصر الدين بن دلغادر للسلطان وولائه له. ثم كان للظاهر جقمق موقف مشابه مع ابنة كرتباي أمير بلاد الجار كس الذي وفد إلى مصر سنة ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م فأسلم هو وابنته، وتزوجها السلطان^{٢٦}.

٢٢. المقرئزي، الخطط، مجلد ٣، ص ٢١٤.
 ٢٣. المقرئزي، السلوك، ج ٢/ ق ١، ص ٢٠٣-٢٠٥؛ زينب فواز، الدر المنثور، ج ٢، ص ٣٨-٣٩.
 ٢٤. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٤٤، ص ٥٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٢٢٣. ولكن يذكر السخاوي أن السلطان هو الذي طلب الزواج من نفيسة فجاء بها والدها إلى مصر بناء على طلبه وتزوجها السلطان واستمرت عنده حتى ماتت: السخاوي، الضوء اللامع، ج ١٢، ص ١٣٠؛ التبر المسبوك، ج ٢، ص ٢٢٥. ونفس المعنى ورد عند: ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج ١، ص ٢٣٦.
 ٢٥. ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج ١، ص ٢٢٤؛ السخاوي، التبر المسبوك، ج ٢، ص ١٨٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٢٧٦.
 ٢٥. المقرئزي، السلوك، ج ٤/ ق ٣، ص ١١٨٥، ص ١١٨٧؛ ابن

ومن بنات الملوك أيضاً اللاتي صرن من زوجات سلاطين المماليك شاه زاده بنت الأمير أرخن بك بن محمد بن كرشجي بن عثمان ملك الروم، فهي رومية الأصل والمولد، إلا أنها جاءت إلى مصر مع أخيها سليمان وأنزلها الأشرف برسباي الدور السلطانية وتربت فيها، وعندما كبرت تزوجها برسباي، ثم تزوجها من بعده الظاهر جقمق^{٢٧}.

زوجة السلطان السابق

يفهم من المصادر المملوكية أن زواج السلطان من زوجة سلطان سابق له كان أمراً شائعاً في أسر سلاطين المماليك، وقد تكرر كثيراً. وكان لأبناء الناصر محمد حظ وافر من هذه العادة؛ فنجد أن ابنة بكتمر الساقى قد عقد عليها أنوك ابن الناصر محمد، ومات عنها وهي بكر، فتزوجها من بعده أخوه السلطان المنصور أبو بكر، وبعد أن قتل تزوجها أخوه الصالح إسماعيل ومات عنها أيضاً، ومن بعده تزوجها أخوه الملك الكامل شعبان ودخل بها^{٢٨}. ونفس الشيء بالنسبة لابنة الأمير طقزدمر الحموي، إذ عقد عليها أبو بكر ابن الناصر محمد بن قلاوون في حياة والده^{٢٩}، ثم تزوجها من بعده أخوه الملك الصالح إسماعيل عام ٧٤٤هـ/١٣٤٣م^{٣٠}، ومن بعده تزوجها الملك الكامل شعبان عام ٧٤٦هـ/١٣٤٥م^{٣١} وكان كلاً منهم كان يرث أخيه في منصبه وفي زوجاته أيضاً.

كذلك فإن الظاهر جقمق تزوج خوند شاه زاده بنت عثمان، التي كانت زوجة للأشرف برسباي من قبله^{٣٢}. وأيضاً قانصوة الأشرف في تزوج مصر باي الجركسية والتي كانت زوجة ابن أخته والسلطان السابق له الناصر محمد بن قايتباي^{٣٣}، وطومان باي تزوج خوند فاطمة ابنة العلاي علي بن خاص بك والتي كانت زوجة للأشرف قايتباي من قبله^{٣٤}.

السراري والمحظيات

شاع في العصر المملوكي أن يملك السلطان الكثير من السراري والمحظيات اللاتي يتسرّي بهن^{٣٥}، وعندما تنجب إحداهن من السلطان تعرف باسم «أم ولد»^{٣٦}، وقد يتزوجها السلطان، وقد تظل على حالها.

وقد اشتهرت بعض سراري سلاطين المماليك ومحظياتهم وعرفن في التاريخ؛ حيث أشار إليهن المؤرخون وذكرهن في حولياتهم. فمنهن من عرفت واشتهرت بسبب حب السلطان لها وتقريبه إياها، ومنهن من عرفت بنفوذها وكلمتها

٣٢. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ١٧٨؛ حوادث الدهور، ج٢، ص ٥٥٩-٥٦١؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٣٧.

٣٣. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٤٢٦.

٣٤. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٤٦٩.

٣٥. يذكر ابن تغري بردي أن عددهن قد يصل إلى أربعمائة: حوادث الدهور، ج٢، ص ٥٢٥.

٣٦. المقرئ، السلوك، ج٤/ق٢، ص ٩٠٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص ١٠٦؛ المنهل الصافي، ج٦، ص ٣١٦.

٢٧. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ١٧٨؛ حوادث الدهور، ج٢، ص ٥٥٩-٥٦١؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٣٧.

٢٨. المقرئ، السلوك، ج٢/ق٣، ص ٦٨٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ١١٩.

٢٩. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص ١١٥.

٣٠. المقرئ، السلوك، ج٢/ق٣، ص ٦٥١.

٣١. المقرئ، السلوك، ج٢/ق٣، ص ٦٩٠.

المسموعة عند السلطان. من هؤلاء السراري اتفاق العوادة، التي كانت جارية سوداء لدى السلطان الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون، ورغم ذلك فقد أغرم بها السلطان، وكان ييسط لها يده بالعطاء^{٣٧}. ومن بعد الصالح إسماعيل أغرم أخوه الكامل شعبان أيضاً باتفاق العوادة، وصار لها مكانة كبيرة، وكان لها جوارٍ وخدم. وقد أنجبت للكامل شعبان ولداً سماه شاهنشاه وسر به سروراً عظيماً ثم تزوجها سرّاً في شوال ٧٤٧هـ/ ١٣٤٧م^{٣٨}.

ومن أمهات أولاد الظاهر برقوق اللاتي اشتهرن في التاريخ شيرين الرومية - ابنة عم تغري بردي - التي أنجبت للظاهر برقوق ولده فرج. ولم تحظ شيرين بالمكانة العالية إلا بعد موت الظاهر برقوق وسلطنة ولده فرج؛ إذ صارت شيرين خوند الكبرى، وسكنت قاعة العواميد بقلعة الجبل^{٣٩}. وبالمثل حدث مع قنق باي التركية الظاهرية التي حظيت عند الظاهر برقوق وأنجبت له ولده عبد العزيز. غير أنها لم تحظ بالمكانة الرفيعة والمقام العالي إلا بعد أن تسلطن ولدها عبد العزيز؛ فصارت هي خوند الكبرى وسكنت قاعة العواميد^{٤٠}. وعرف في عصر الأشرف برسباي محظيته ملكباي التي أنجبت ولده محمد^{٤١}. أما سورباي الجركسية حظية السلطان الظاهر جقمق فقد كان لها مكانة كبيرة عنده، حتى أنها عندما توعكت نقلها إلى الحجازية ببولاق للنزهة والاستشفاء، لكنها ماتت هناك، فأسف عليها السلطان أسفاً عظيماً وأعد لها جنازة حافلة، مثنى فيها مع الأمراء المقدمين الألوفا حتى دفنت^{٤٢}. وقيل أيضاً أنه طلق زوجته خوند الكبرى مغل بنت البارزي؛ لاتهاها بسحر سورباي؛ مما تسبب في وفاتها^{٤٣}. وهذا إن دل على شيء يدل على مكانة سورباي عند السلطان.

كذلك كان للظاهر خشقدم عدة سرار ولكن لم نعرف منهن سوى سورباي أو سوار باي الجركسية، أم ابنته، وقد تزوجها خشقدم بعد وفاة زوجته خوند شكرباي الأحمديّة عام ٨٧٠هـ/ ١٤٦٦م وجعلها خوند الكبرى صاحبة القاعة^{٤٤}. أما الأشرف قايتباي فقد عرفت سريته أصل باي لأنها أنجبت ولده محمد الذي تسلطن بعده. ثم زادت مكانة أصل باي عندما تزوجها جان بلاط، وصارت خوند الكبرى عندما تسلطن الأخير^{٤٥}. وبذلك كانت أصل باي أم سلطان - وهو الناصر محمد بن قلاوون - وأخت سلطان - وهو قانصوة الأشرفي - وزوجة سلطان - وهو الأشرف جان بلاط^{٤٦}.

٤١. السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص١٢٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٣٣٤.

٤٢. ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١، ص١٦٩؛ السخاوي، التبر المسبوك، ج٢، ص١٣٥؛ الضوء اللامع، ج١٢، ص٦٦.

٤٣. الصيرفي، إنباء المصغر، ج٢، ص٤٦٥؛ السخاوي، التبر المسبوك، ج٢، ص٨٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٢٦٣.

٤٤. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٢٩٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٤٣٥.

٤٥. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٤٢٨-٤٢٩.

٤٦. كانت أصل باي أخت قانصوة من قانصوة الأشرفي الذي كان سلطاناً قبل جان بلاط، وقد راعي جان بلاط قرابته فأنعم عليه بخمسة آلاف دينار ورسم بإخراجه إلى الإسكندرية: ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٤٤٢.

٣٧. المقرئزي، السلوك، ج٢/٣، ص٦٦٢. وكان السلطان يفعل ذلك سرّاً خوفاً من أرغون العلاتي زوج والدته ومدبر المملكة.

٣٨. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٣٢، ص١٥٣.

٣٩. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٣، ص١٩؛ المنهل الصافي، ج٦، ص٣١٦؛ الدليل الشافي، ج١، ص٣٤٨؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص٦٩-٧٠. وكان الشائع في ذلك الوقت أن السلطان إذا كان دون سن البلوغ أو لم يتزوج بعد أن تصير والدته خوند الكبرى.

٤٠. المقرئزي، السلوك، ج٤/٢، ص٩٠٠؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٩، ص١٠٥-١٠٦؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٢٦٨؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص١١٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٤٥.

نفوذ زوجة السلطان ومكانتها

اشتهرت بعض زوجات سلاطين المماليك بسبب أصولهن الرفيعة ونسبهن السامي؛ فنجد مثلاً أن زينب زوجة السلطان المؤيد شيخ قد وصفت بأنها ابنة سلطان - وهو الظاهر برقوق - وأخت سلطان - وهو فرج بن برقوق - وأنها زوجة سلطان، وهو المؤيد شيخ^{٤٧}. وبالمثل فاطمة بنت ططر كانت ابنة السلطان الظاهر ططر، وأخت السلطان محمد بن ططر، وزوجة السلطان الأشرف برسباي^{٤٨}.

من زوجات السلاطين أيضاً من اشتهرن بالنفوذ والعظمة والسلطان مثل خوند طغاي زوجة الناصر محمد بن قلاوون، وهي أم ولده أنوك، التي قال عنها المقرئزي إنها: «رأت من السعادة ما لم يره غيرها من نساء الملوك بمصر، وتنعمت في ملاذ ما وصل سواها لمثلها... وكان القاضي كريم الدين والأمير مجلس وعدة من الأمراء يترجلون عند النزول ويمشون بين يدي محفتها، ويقبلون الأرض لها كما يفعلون بالسلطان... وكان الأمير تنكر إذا جهز من دمشق مقدمة لا بد وأن يكون لخوند طغاي منها جزء وافر. فلما مات الملك الناصر استمرت عظمتها من بعده إلى أن ماتت في شهر شوال عام تسع وأربعين وسبع مائة، أيام الوباء عن ألف جارية، وثمانين خادماً خصياً وأموال كثيرة جداً»^{٤٩}. ويذكر ابن حجر العسقلاني أنه بسببها أبطل الناصر محمد عن مكة المكس الذي كان يؤخذ على القمح^{٥٠}؛ مما يشير إلى نفوذها وكلمتها المسموعة عند السلطان. وقد اشتهرت خوند طغاي في التاريخ بسبب رحلتها الشهيرة إلى الحجاز، التي أنعم بها السلطان عليها بعد أن أنجبت ولده أنوك. ويصف المقرئزي حجتها بقوله: «لم يسمع بمثل هذه الحجة في كثرة خيرها وسعة العطاء، ويقال إن السلطان أنفق على حجة طغاي مبلغ ثمانين ألف دينار وستمائة ألف درهم، سوى كرى الحمول وثمان الجمال ومصرف الجوامك، وسوى ما حمل من أمراء الشام وأمراء مصر»^{٥١}.

وقد حظيت خوند جلبان زوجة الأشرف برسباي أيضاً بمكانة عظيمة، وكان لها نفوذ وحرمة وافرة، حتى أن ابن تغري بردي وصفها بقوله: «وحظيت عنده - المقصود السلطان - ونالها السعادة، وعظمت حرمتها في الدولة، وقصدها الناس لقضاء حوائجهم»^{٥٢}. ويدلل على هذه المكانة الرفيعة بأن السلطان أرسل يطلب إخوتها وأقاربها من بلاد الجار كس، وعندما وفدوا إلى مصر أنعم عليهم بالرواتب والإقطاعات والوظائف^{٥٣}. كما يضيف أنها «لو عاشت حتى تسلطن ولدها العزيز لكانت دبرت ملكه أحسن تدبير»^{٥٤}. ويفهم من هذه العبارة أنها تمتعت برجاحة العقل وحسن التدبير، وربما يكون في ذلك إيجاء بأنها شاركت في تدبير أمور البلاد في عهد زوجها الأشرف برسباي.

٤٧. المقرئزي، السلوك، ج٤/ق٢، ص ٦٥١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص ١١٧؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص ٣٩، حاشية (٣)؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٤٠.

٤٨. السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٩٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٣٨.

٤٩. المقرئزي، الخطط، مجلد ٤/ق٢، ص ٧٨٦-٧٨٨.

٥٠. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٢، ص ٣٢١؛ أحمد عبد الرازق، المرأة، ص ٦٠؛ منى محمد بدر، أثر الحضارة السلجوقية، ج١، ص ٢٦٠.

٥١. المقرئزي، السلوك، ج٢/ق١، ص ٢٣٥. ونفس المعنى ورد عند:

٥٢. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٥، ص ١٤-١٥.

٥٣. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٥، ص ١٦.

٤٧. المقرئزي، السلوك، ج٤/ق٢، ص ٦٥١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص ١١٧؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص ٣٩، حاشية (٣)؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٤٠.

٤٨. السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٩٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٣٨.

٤٩. المقرئزي، الخطط، مجلد ٤/ق٢، ص ٧٨٦-٧٨٨.

٥٠. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٢، ص ٣٢١؛ أحمد عبد الرازق، المرأة، ص ٦٠؛ منى محمد بدر، أثر الحضارة السلجوقية، ج١، ص ٢٦٠.

٥١. المقرئزي، السلوك، ج٢/ق١، ص ٢٣٥. ونفس المعنى ورد عند:

٥٢. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٥، ص ١٦.

أما خوند زينب بنت علاء الدين علي بن خاص بك زوجة الأشرف إينال فقد عرف عنها المزيد من النفوذ والسطوة؛ حتى أن ابن تغري بردي وصفها بقوله: «ولعل الذي وقع لها لم يقع لغيرها من نساء الملوك من نفوذ الكلمة ووفور الحرمة في الدولة، وعدم مخالفة السلطان لها»^{٥٥}. ويضيف السخاوي أن السلطان كان يطيع أوامرها «حتى كان لا اختيار له معها»^{٥٦}. ونحن لا نعرف على وجه الدقة مدى تدخلها في شؤون البلاد وإدارة شؤون الدولة، وما نوع الأوامر التي كان يطيعها فيها الأشرف إينال، وليس لدينا في هذا السياق سوى ما ذكره ابن إياس من أنها «صارت تدبر أمور المملكة من ولاية وعزل»^{٥٧}.

نفوذ ومكانة والد زوجة السلطان (حمو السلطان)

إن المتتبع للمصادر المملوكية يجد أن رابطة الزواج في أسر السلاطين كانت تخلق مجموعة من الروابط المتشابكة بين أفراد الأسرة. وفي تناولنا لرابطة الزواج في أسر سلاطين المماليك لا يمكن أن نغفل حما السلطان كأحد أهم أفراد أسرته، ولا سيما أنه يفهم من المصادر المملوكية أن بعض كبار الأمراء تمتعوا بمكانة مضاعفة بحكم مصاهرة السلطان. إذ كان حمو السلطان في كثير من الأحيان محل توقير السلطان واحترامه، وموضع ثقته، ومحط إنعامه وعطائه. وكان من أشهر هؤلاء الأمراء الأمير تنكز نائب الشام، ووالد زوجة السلطان الناصر محمد بن قلاوون؛ إذ تشير المصادر إلى أنه كان مقرباً من السلطان، وأن الأخير كان لا يفعل شيئاً بمصر إلا ويشاوره فيه^{٥٨}. وكان الناصر محمد يكتبه في المراسيم «أعز أنصار المقر الكريم العالي» وزاده في الألقاب عن العادة^{٥٩}. كما تشير المصادر إلى أنه قلما كتب تنكز إلى السلطان في شيء ورده^{٦٠}. أما إنعامات السلطان على تنكز فكانت تفوق الوصف والحصص؛ إذ كان السلطان يدعوه إلى مصر تقريباً كل عام ويجزل عليه العطاء والهدايا^{٦١}.

وقد علق المقرئزي على هدايا السلطان وتعظيمه لتتنكر عندما جاء إلى مصر لحضور عرس أنوك ابن السلطان سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٦م بقوله: «فلم يسمع عن ملك أنه فعل مع مملوكه من التعظيم ما فعله السلطان في هذا اليوم مع الأمير تنكز»^{٦٢}. كذلك علق ابن تغري بردي على تعظيم السلطان لتتنكر عندما وفد إلى مصر للاحتفال بإنجاب ابنته من السلطان عام ٧٣٩هـ/١٣٣٨م بقوله: «وكان من إكرامه له في هذه السفارة ما لا عهد من ملك مثله»^{٦٣}.

٥٥. ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢، ص ٥٢٥؛ أحمد عبد الرازق، المرأة، ص ٥٥.
٥٦. السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٤٥.
٥٧. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ١٥٦.
٥٨. ابن شاکر الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص ٢٦٢؛ المقرئزي، الخطط، مجلد ٣، ص ١٧٩؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٤، ص ١٦٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١/ق١، ص ٤٨٠؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص ١١٦.
٥٩. ابن إياس، بدائع الزهور، ج١/ق١، ص ٤٨٠.
٦٠. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص ٥٢٠؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٤، ص ١٦٧؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص ١١٦-١١٧.
٦١. المقرئزي، المقفي الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، ج٢، ص ٦١٠-٦١٤؛ السلوك، ج٢/ق٢، ص ٣٤٥، ٤١١، ٤١٧، ٤٣٦، ٤٦٠.
٦٢. المقرئزي، السلوك، ج٢/ق٢، ص ٤١٧.
٦٣. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص ١٢٩-١٣٠.

كذلك استفاد الأمير طقزدمر الحموي من كونه حما السلطان المنصور أبي بكر؛ إذ رقي إلى منصب نائب السلطنة بسبب «كونه من أكابر الأمراء وأيضاً صهر السلطان» - على حد قول ابن تغري بردي^{٦٤}. وبالمثل كان لتغري بردي مكانة كبيرة في عصر الناصر فرج بن برقوق لكونه حما السلطان؛ فكان الناصر ينعم عليه بالإقطاعات^{٦٥}، وولاه نيابة الشام، ثم الأتابكية، ثم نيابة دمشق^{٦٦}. وكان تغري بردي معظماً في الدولة^{٦٧}، ومقرباً من الناصر فرج؛ حتى أنه عندما اختفى الناصر فرج عام ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م، وتسلمن أخوه عبد العزيز لم يشك أحد في أن تغري بردي اصطحبه إلى الشام^{٦٨}. وأيضاً كان للمقر الكمالي محمد بن البارزي مكانة رفيعة لدى الظاهر جقمق بحكم كونه أخاً زوجته، فكان السلطان يقبل شفاعته^{٦٩}، ويقربه إليه حتى «شاع ذكره، وبعد صيته، وقصده الناس من الأقطار»^{٧٠}.

وإذا كان حما السلطان عادةً ما يحظى بمكانة كبيرة في الدولة ولدى السلطان بحكم مصاهرته، فإن الخروج عن هذه القاعدة كان في حالة جرباش الكريمي، حماي السلطان الظاهر جقمق، والذي تمتع ببعض المميزات بحكم مصاهرة السلطان^{٧١}، ولكنه مع ذلك لم يحظ بمكانة كبيرة عنده. ويذكر ابن تغري بردي حادثة شفع فيها جرباش الكريمي لإينال الأبوبكري عند السلطان، ولكن السلطان رفض شفاعته. وقد كانت هذه الحادثة عام ٨٤٢هـ/ ١٤٣٩م؛ أي قبل زواج السلطان من ابنته، ولكن رغم ذلك يعلق ابن تغري بردي على هذا الموقف بقوله: «... فلم يلتفت السلطان إلى شفاعته ونزل جرباش إلى داره خجلاً مفضوحاً من حاشيته وأصحابه، ومن يومئذ انحط قدره إلى أن مات، على أنه صاهر السلطان بعد ذلك وصار حماه، ومع هذا كله لم يكن له صولة في الدولة»^{٧٢}.

٦٤. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ١٠، ص ٣، ١٠.
 ٦٥. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ١٣، ص ٦٧.
 ٦٦. المقرئ، درر العقود الفريدة، جـ ١، ص ٤٩٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ١٣، ص ١١٧؛ المنهل الصافي، جـ ٤، ص ٣٣-٣٤؛ الدليل الشافي، جـ ١، ص ٢١٦؛ السخاوي، الضوء اللامع، جـ ٣، ص ٢٩.
 ٦٧. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، جـ ٤، ص ٣٩؛ السخاوي، الضوء اللامع، جـ ٣، ص ٢٩.
 ٦٨. يقول ابن تغري بردي: «تخبرت الناس في أمر السلطان الملك الناصر فرج ولم يشك أحد في أن الوالد - المقصود والده تغري بردي - أخذته ومضى إلى البلاد الشامية لأنه كان عقد على الأخت قبل تاريخه بمدة يسيرة، ولم يدخل بها»: النجوم الزاهرة، جـ ١٣، ص ٤١.
 ٦٩. كان للمقر الكمالي نفس مكانة حماي السلطان: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ١٥، ص ٣٣٠، ٣٣٣.
 ٧٠. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ١٦، ص ١٧. انظر ترجمة المقر الكمالي عند: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ١٦، ص ١٣-١٧؛ حوادث الدهور، جـ ٢، ص ٣٨٦-٣٨٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٢، ص ٢٩٣.
 ٧١. من هذه المميزات أنه حج مع ابنته زوجة السلطان سنة ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م: المقرئ، السلوك، جـ ٤/٣، ص ١٢٠١.
 ٧٢. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ١٥، ص ٣١٧. انظر ترجمة جرباش الكريمي عند: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ١٦، ص ١٨٣؛ المنهل الصافي، جـ ٤، ص ٢٥٦-٢٥٩؛ الدليل الشافي، جـ ١، ص ٢٤٣؛ السخاوي، الضوء اللامع، جـ ٣، ص ٦٦-٦٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٢، ص ٣٣٦.

أبناء السلطان وبناته

ابن السلطان

ضنت علينا المصادر بتفاصيل وافية حول كيفية اختيار زوجة ابن السلطان، إلا أن الإشارات القليلة التي ورد ذكرها في المصادر يفهم منها أن السلطان كان عادة ما يختار لابنه إحدى بنات كبار الأمراء؛ وذلك ليكون هذا الأمير عوناً لولده في حال استقراره على العرش.

كان هذا هو هدف الظاهر بيبرس عندما اختار ابنة قلاوون زوجة لولده السعيد محمد بن بيبرس، إلا أن هذه المصاهرة والرابطة الوثيقة لم تمنع قلاوون من خلع السعيد محمد من العرش بعد ذلك، بل قتله أيضاً حتى يثب على العرش مكانه^{٧٣}. وبالمثل فعل الناصر محمد بن قلاوون عندما اختار ابنة الأمير بكتمر الساقى لتكون زوجة لابنه أنوك^{٧٤}. وكان هذا الاختيار راجعاً لمكانة بكتمر عند الناصر محمد؛ فهو أحد كبار الأمراء، وكان له مكانة عالية حتى أن السلطان لا يفارقه «وصارت إشارته لا ترد وهو عبارة عن الدولة»^{٧٥}. كما اختار الناصر محمد لابنه أبي بكر ابنة الأمير طقزدمر الحموي لتكون زوجة له^{٧٦}. ويبدو أن الأمور في هذه الحالة سارت وفق ما رتب الناصر محمد؛ فبعد وفاته تولى ابنه أبو بكر السلطنة، واتفق الأمراء على إقامة سيف الدين طقزدمر حمى المنصور أبي بكر في نيابة السلطنة لكونه أحد أكابر الأمراء وصهر السلطان^{٧٧}.

وقد اتبع قانصوة الغوري نفس السياسة عندما اختار ابنة سيباي نائب الشام لتكون زوجة لولده المقر الناصري محمد؛ ليكون سيباي عوناً وسنداً لولده^{٧٨}. ويشير ابن إياس إلى أن العروس كانت في الثامنة من عمرها، ومحمد بن قانصوة كان في الثالثة عشر، كما أن قانصوة هو الذي ألح لإتمام هذا الزواج. وكل هذا يشير إلى أن قانصوة لم يكن يرغب في المصاهرة في حد ذاتها بقدر ما كان يرغب في ضمان عون سيباي ومساندته. أما المؤيد شيخ فقد زوج ابنه صارم الدين إبراهيم من ابنة السلطان السابق، وهو الناصر فرج بن برقوق^{٧٩}.

٧٣. الزهور، ج١/ق١، ص٤٦٤.
٧٦. كان العقد في احتفال كبير سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٦م: المقرئزي، السلوك، ج٢/ق٢، ص٤١٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص١١٥.
٧٧. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٣. انظر ترجمة طقزدمر الحموي عند: الذهبي، العبر، ص١٣٨؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٢، ص٢٢٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٤٢؛ المنهل الصافي، ج٦، ص٤٢٠-٤٢٢؛ الدليل الشافي، ج١، ص٣٦٦.
٧٨. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٤٠٦.
٧٩. المقرئزي، السلوك، ج٤/ق١، ص٢٦٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص١١؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٣٣١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٩.

٧٣. يذكر ابن تغري بردي أن الناس كرهت المنصور قلاوون سنين هذه الفعلة، حتى إن ابنته أبغضته لذلك؛ لأنها وجدت على زوجها وجداً عظيماً وتألّت لفقده ولم تتزوج بعده. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٢٧٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٤٠٧-٤٠٨.
٧٤. المقرئزي، السلوك، ج٢/ق٢، ص٣٣٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص١٠٠.
٧٥. المقرئزي، الخطط، مجلد٤/ق٢، ص٧٧٦؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص٤٨٦. ولم تتح لبكتمر الفرصة ليكون عوناً لابن السلطان إذ توفي أنوك في حياة والده، كما ثقل أمر بكتمر على السلطان الذي بدأ يتخوف من تعاطف أمر بكتمر وتزايد نفوذه فقتله. انظر ترجمة بكتمر عند: المقرئزي، المقفي الكبير، ج٢، ص٤٦٨-٤٧٤؛ الخطط، مجلد٤/ق٢، ص٧٧٢-٧٧٧؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص٤٨٦-٤٨٧؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٣٩٠-٣٩٧؛ الدليل الشافي، ج١، ص١٩٤؛ ابن إياس، بدائع

ومن هذه الأمثلة القليلة يتضح أن السلطان المملوكي كان عادة يختار لابنه ابنة أحد كبار الأمراء لتكون زوجة له؛ ليضمن مساندة والدها لولده في حال وصوله إلى العرش، أو يختار له ابنة أحد السلاطين السابقين.

ابنة السلطان

لقد كان الأمر مختلفاً عند اختيار زوج ابنة السلطان؛ فلم يكن المهم أن يختار لها السلطان أحد كبار الأمراء بقدر ما كان المهم أن يختار لها شخصاً يثق به، أو أحد صغار الأمراء الذي يشمله السلطان برعايته واهتمامه ويرقيه ويرفعه؛ فيضمن بذلك ولائه ويصير محل ثقته. وقد كان الناصر محمد بن قلاوون مثلاً واضحاً على تطبيق هذه السياسة؛ فقد اختار أزواج بناته من بين أمرائه الذين قربهم وأغدق عليهم النعم والهدايا وجعلهم محل ثقته، وولاهم بعد ذلك أهم المناصب في الدولة. أول هؤلاء الأمراء كان الأمير قوصون الذي كان مقرباً من السلطان، فأمره حتى صار أمير مائة مقدم ألف، ثم عقد له على إحدى بناته في جمادى الآخرة سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م^{٨٠}. والثاني كان الأمير طغاي تمر العمري الناصري الذي حظي عند السلطان لجماله وسكونه وعقله^{٨١}، فرقاه السلطان وزوجه إحدى بناته، وذلك في رجب ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م^{٨٢}. كذلك زوج السلطان إحدى بناته للأمير بشتاك الناصري^{٨٣}، وأخرى للأمير الطنبغا المارديني، الذي اختص به السلطان ورقاه حتى صار من أمراء الألو، ثم زوجه إحدى بناته^{٨٤}. وابنة أخرى للناصر محمد عقد لها على الأمير ملكتمر الحجازي، الذي حظي عند السلطان وتقدم في آخر أيام الملك الناصر وتزوج إحدى بناته^{٨٥}. والسادسة من بنات الناصر محمد زوجها للأمير أفسنقر الناصري، الذي كان أيضاً ممن ترقوا على يده حتى صار أمير شكار، وزوجه إحدى بناته^{٨٦}.

والمتتبع لتراجم هؤلاء الأمراء يجد قاسماً مشتركاً في تراجمهم، وهو عبارة «وكان ممن اختص به السلطان»؛ أي أن السلطان كان يختار أزواج بناته ممن اختص بهم من الأمراء، ثم يرقيه ويرفع من شأنه ويزوجه إحدى بناته. وحتى يضمن

٨٠. المقرئ، السلوك، ج٢/ق١، ص٢٧٢، ٢٨٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٧٤-٧٥؛ المنهل الصافي، ج٣، ص٣٦٧-٣٧١؛ الدليل الشافي، ج١، ص١٩١.
٨٤. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص١٧٥. انظر ترجمة الطنبغا المارديني عند: المقرئ، السلوك، ج٢/ق٣، ص٦٥٨؛ المقفي الكبير، ج٢، ص٢٨٤-٢٨٥؛ الخطط، ج٤/ق١، ص٢٢٨-٢٣٠؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص٤٠٩؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٦٧-٧٠؛ الدليل الشافي، ج١، ص١٥١.
٨٥. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٥٢-٥٣. انظر ترجمة ملكتمر الحجازي عند: المقرئ، السلوك، ج٢/ق٣، ص٧٤٨، ٧٥٥؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٤، ص٣٥٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٨٤؛ الدليل الشافي، ج٢، ص٧٤١. وقد عرفت زوجة ملكتمر الحجازي بالحجازية: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٥٣.
٨٦. انظر ترجمة أفسنقر الناصري عند: المقرئ، المقفي الكبير، ج٢، ص٢٦٢-٢٦٣؛ السلوك، ج٢/ق٣، ص٧٥٤؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص٣٩٤.

٨٠. المقرئ، السلوك، ج٢/ق١، ص٢٧٢، ٢٨٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص٨٩. انظر ترجمة قوصون عند: الصفدي، الوافي بالوفيات، النشرات الإسلامية، ج٤، ص٢٧٧-٢٧٩؛ ابن حبيب، تذكرة النبي، ج٣، ص٣٣؛ المقرئ، السلوك، ج٢/ق٣، ص٦١٥؛ الخطط، ج٤/ق١، ص٢٢٤-٢٢٦؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٣، ص٢٥٧-٢٥٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٤٦-٤٧؛ المنهل الصافي، ج٩، ص١٠٧-١١٠؛ الدليل الشافي، ج٢، ص٥٥١. وقد عرفت زوجة قوصون بالقوصونية: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٥٣.
٨١. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٢، ص٢٢٣.
٨٢. المقرئ، السلوك، ج٢/ق١، ص٢٩٦؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص٨٩. انظر ترجمة طغاي تمر الناصري عند: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٢، ص٢٢٣؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٦، ص٤١٣؛ الدليل الشافي، ج١، ص٣٦٤.
٨٣. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص١٧٥؛ ج١٠، ص٥٣. انظر ترجمة بشتاك الناصري عند: المقرئ، السلوك، ج٢/ق٣، ص٦١٤؛ المقفي الكبير، ج٢، ص٤٢٣-٤٢٧؛ الخطط، ج٣، ص٩٩-١٠١؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة،

السلطان استمرار ولائهم كان يغدق عليهم العطاء؛ فتذكر المصادر مثلاً أنه في عرس قوصون على ابنة السلطان أمر الأخير الأمراء بحمل التقادم والشموع لقوصون، «فبلغ وزن الشمع الذي أحضره الأمراء ثلاثمائة قنطار وأحد عشر قنطاراً، وبلغت التقادم لقوصون خمسين ألف دينار»^{٨٧}. وعندما عقد لطغاي ثمر على ابنة الناصر محمد أعفى الأخير الأمراء من حمل التقادم لطغاي، وأنعم عليه من الخزانة بخمسين ألف دينار^{٨٨}. وفي عام ٧٣٨هـ/١٣٣٦م أنعم السلطان الناصر محمد في يوم واحد على أزواج بناته: (قوصون، والطنبغا المارديني، وملكتمر الحجازي، وبشتاك) بمائتي ألف دينار^{٨٩}. ولم تكن هدايا السلطان مادية فقط، بل كانت أيضاً عينية؛ فعندما شرع قوصون في بناء مسجده أرسل إليه السلطان بشاد العمائر والأسرى لنقل الحجارة ونحوها؛ مما ساعد على إنجاز عمارة المسجد في مدة يسيرة^{٩٠}. كما بني السلطان للأمير الطنبغا المارديني قصرًا تجاه القلعة في عام ٧٣٨هـ/١٣٣٧م، وفي نفس العام رسم للأمير قوصون أن يشتري الأملاك التي حول اصطبله، ويضيفها فيه^{٩١}. وتحوي المصادر أمثلة أخرى كثيرة على هدايا الناصر محمد بن قلاوون وإنعاماته على أزواج بناته. وكنيجة طبيعية كان الناصر محمد يثق بهؤلاء الأمراء؛ بدليل أنه أثناء مرض موته اختار اثنان من أزواج بناته - قوصون وبشتاك - وجعلها الوصيين على أبي بكر، ابنه والسلطان من بعده، وجعل إليهما تدبير أمور البلاد^{٩٢}. وبالفعل استقر قوصون مدبراً للمملكة ورأس المشورة، ويشاركه في الرأي بشتاك الناصري^{٩٣}.

وبالمثل اختار الناصر فرج بن برقوق أن يزوج ابنته شقراء من أحد صغار الأمراء؛ فقد عقد لها على الأمير جرباش كرد، والذي كان أحد مماليكه، ثم رقاه وجعله أمير عشرة ورأس نوبة، وزوجه ابنته شقراء^{٩٤}. وقد صار جرباش محل ثقة السلطان بحكم علاقة المصاهرة التي ربطت بينهما، حتى أن جرباش كان ممن أسند إليه السلطان وصيته قبل وفاته^{٩٥}. كذلك اختار السلطان جقمق أحد صغار الأمراء زوجاً لابنته^{٩٦}؛ فقد زوجها من مملوكه أزيك من ططخ^{٩٧}، وكان أزيك وقتها أحد أمراء العشرات^{٩٨}. أما السلطان الأشرف إينال فقد زوج ابنته الكبرى بدرية^{٩٩} - قبل أن يتسلطن - من أحد مماليكه وهو بردبك الأشرفي. وبعد أن تسلطن إينال رقى زوج ابنته، فجعله أمير عشرة دوادار ثالث^{١٠٠}، ثم رقاه إلى

٩٦. ذكرها ابن تغري بردي في وفيات عام ٨٦٧هـ/١٤٦٢م دون أن يذكر اسمها، وأشار إلى أنها كانت زوجة أزيك: النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣١٩. كما ذكرها السخاوي باسم خديجة: الضوء اللامع، ج١٢، ص٢٧. أما ابن إياس فقد ذكرها باسم عائشة: بدائع الزهور، ج٢، ص٤٠٤.
٩٧. كان هذا الزواج عام ٨٥٤هـ/١٤٥٠م: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٤٠٦؛ حوادث الدهور، ج١، ص٢٥٥-٢٥٦؛ السخاوي، التبر المسبوك، ج٣، ص١٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٢٧٧.
٩٨. انظر ترجمة أزيك من ططخ عند: ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١، ص١١٣؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٢٧٠. وقد تزوج أزيك الابنة الثانية للظاهر جقمق وهي فاطمة، وذلك بعد وفاة زوجته خديجة: السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص٩٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٣٠٠.
٩٩. انظر ترجمة بدرية بنت إينال عند: السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص١٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٠٢.
١٠٠. كان ذلك في عام ٨٥٧هـ/١٤٥٣م: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٦٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٣٠٩.

٨٧. المقرئزي، السلوك، ج٢/١، ص٢٨٨.
٨٨. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص٢١٢. ولكن المقرئزي يذكر أنه أنعم عليه بأربعة آلاف دينار: السلوك، ج٢/١، ص٢٩٦.
٨٩. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص١١٩.
٩٠. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص٩٤-٩٥.
٩١. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص١٢١.
٩٢. المقرئزي، السلوك، ج٢/٢، ص٥٢٣.
٩٣. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٣. والغريب والغير متوقع أن قوصون الذي كان «أعز مماليك الناصر محمد وزوج ابنته» - على حد تعبير ابن تغري بردي - هو الذي سعى إلى خلع المنصور أبو بكر من السلطنة وإخراجه إلى قوص، ثم قتله بعد ذلك، برغم كل ما قدمه له الناصر محمد قبل ذلك: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٧.
٩٤. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٤، ص٢٦٠. انظر ترجمة جرباش الناصري كرد عند: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٤، ص٢٦٠-٢٦١؛ الدليل الشافي، ج٢، ص٢٤٣؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٦٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٨٣-٨٤.
٩٥. السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٦٦.

الدوادارية الثانية لكونه صهره^{١٠١}، وصار بردبك من أعيان مماليك الأشرف إينال^{١٠٢}، كما صارت «أمور المملكة مغدوقة به» على حد قول ابن إياس^{١٠٣}.

ومن ذلك يتضح أن السلطان كان عادة يختار أزواج بناته من بين خواصه من الأمراء، خاصة ممن كانوا مماليكه وأنشأهم ورقاهم، أو من بين صغار الأمراء. وأما أن يختار السلطان زوجاً لابنته من بين كبار الأمراء فكان ذلك هو الاستثناء، ووفقاً لما توفر لدينا من المصادر كان ذلك في ثلاث حالات:

- الحالة الأولى كانت عندما عقد السلطان الناصر فرج بن برقوق لابنته على الأمير بكتمر جلق نائب الشام، وذلك بدمشق في ربيع الآخر عام ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م^{١٠٤}، ثم كان العرس بالقاهرة في المحرم عام ٨١٣هـ/ ١٣١٠م، برغم أن العروس كان عمرها سبع سنين أو أقل^{١٠٥}. وقد كان الناصر فرج وقتها في أوج خلافه مع أمراء الشام، فيبدو أنه أراد بهذا الزواج أن يضمن ولاء بكتمر جلق ومناصرته له ضد شيخ ونوروز.

- الحالة الثانية كانت عندما عقد السلطان المؤيد شيخ لابنته على الأمير الكبير الطنبغا القرمشي عام ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م^{١٠٦}. وكان الطنبغا القرمشي محل ثقة السلطان؛ حتى أنه عندما اختار ابنه للسلطنة من بعده جعل الأمير الطنبغا القائم بتدبير ملكه إلى أن يبلغ الحكم^{١٠٧}.

- الحالة الثالثة كانت عندما عقد السلطان الأشرف إينال لابنته الصغرى فاطمة^{١٠٨} على الأمير يونس الأقبائي الدوادار الكبير وأحد أمراء المائة، وكان ذلك عام ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م^{١٠٩}.

وجدير بالذكر أن نشير هنا إلى الاهتمام الفائق الذي أولاه سلاطين المماليك لحفلات زواج أبنائهم وبناتهم بصفة عامة، ولجهاز بناتهم بصفة خاصة. وقد اتسم جهاز بنات السلاطين عموماً بالبذخ؛ حيث بالغ السلاطين في تجهيز بناتهم بأفخر الثياب والجواهر والأثاث، بالإضافة إلى الأسمطة والهدايا والخلع التي تعم الاحتفال. وقد أسهب المؤرخون في وصف احتفالات الزواج ومظاهر البذخ فيها^{١١٠}، ووصف جهاز بنات السلاطين^{١١١} والتي يعجز المقام هنا عن ذكرها.

النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٤٤، ص١٠٣. انظر ترجمة الطنبغا عند: المقرئ، السلوك، ج٤/٢، ص٥٩٨؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٦٢-٦٦؛ الدليل الشافي، ج١، ص١٥١؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٣١٩.

١٠٨. انظر ترجمة فاطمة بنت إينال عند: السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص٩٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٠.

١٠٩. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٦٧؛ حوادث الدهور، ج٢، ص٤٤٠، ٤٤٨. انظر ترجمة يونس الأقبائي عند: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣١٣؛ الدليل الشافي، ج٢، ص٨١١؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص٣٤٥-٣٤٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٣٨٠.

١١٠. مثل الاحتفال بزواج أنوك ابن الناصر محمد بن قلاوون: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص١٠١-١٠٢.

١١١. لمزيد من التفاصيل انظر:

- جهاز ابنة الناصر محمد بن قلاوون التي تزوجت أمير علي بن أرغون: المقرئ، السلوك، ج٢/١، ص٢٤٩.

١٠١. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٨٢؛ حوادث الدهور، ج٢، ص٤٩٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٣١٩.

١٠٢. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٣١٩.

١٠٣. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٤٢٣. انظر ترجمة بردبك عند: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٣٥؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٤-٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٤٢٣-٤٢٤.

١٠٤. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٣، ص٨٨.

١٠٥. المقرئ، السلوك، ج٤/١، ص١٣٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٣، ص١٠١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١/٢، ص٨٠٣. انظر ترجمة بكتمر جلق عند: المقرئ، السلوك، ج٤/١، ص٢٣٩؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١، ص١٩٥؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص١٧.

١٠٦. المقرئ، السلوك، ج٤/١، ص٥٣٦؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٠٠.

١٠٧. المقرئ، السلوك، ج٤/١، ص٥٣٩؛ ابن تغري بردي،

أخت السلطان

كانت أخت السلطان أيضاً من الشخصيات المهمة في الأسرة، لذا كان السلطان يهتم باختيار الزوج المناسب لأخته. قد يكون هذا الزوج شخصاً مقرباً من السلطان، ويود الأخير أن يظهر له مدي اختصاصه به فيزوجه أخته؛ كما هو الحال مع السلطان الصالح إسماعيل الذي كان قد اختص بالأمير ببيغا الصالحي وأمره وخوله في النعم، كما زوجه أخته لأمه (ابنة الأمير أرغون العلائي مدبر المملكة وزوج أم السلطان)^{١١٢}.

وفي أغلب الأحيان كان السلطان يختار أحد كبار الأمراء ليكون زوجاً لأخته، ويزيد نفوذ هذا الأمير وترتفع مكانته بالتبعية نتيجة هذا الزواج. وقد حفلت المصادر المملوكية بالأمثلة الدالة على ذلك؛ فنجد أن السلطان الناصر حسن زوج أخته زهراء للأمير طاز^{١١٣}. وكان طاز في ذلك الوقت أمير مجلس^{١١٤} ونائب السلطان، وبالطبع كان طاز في ذلك الوقت أحد كبار الأمراء؛ حتى أن الذهبي وصفه بأنه أكبر أمراء الدولة في سنة خمسين وما بعدها^{١١٥}. كما أشارت المصادر إلى أنه كان أحد الأمراء الستة أرباب الحل والعقد في دولة المظفر حاجي، ثم ازدادت وجاهته وحرمة في عصر السلطان حسن^{١١٦}. ولا عجب، فهو مع كونه أحد كبار الأمراء كان زوجاً لأخت السلطان فكان محل ثقته؛ لذا فقد «ناط الأمور بالأمير طاز، وجعل قوله عمدة وفعله ماض»^{١١٧}. وشارك طاز في النفوذ والعظمة والوجاهة في عصر السلطان حسن الأمير شيخو، الذي كان أيضاً زوجاً لإحدى أخوات السلطان^{١١٨}. وقد زادت وكثرت أمواله وأملكه^{١١٩}.

وقد حظي الأمير منكلي بغا الشمسي بمكانة مماثلة في عصر الأشرف شعبان بن حسين. ففي البداية خلع عليه السلطان، واستقر به في نيابة حلب عام ٧٦٨هـ/ ١٣٦٥م، فصارت نيابة حلب أكبر رتبة من نيابة الشام، وعظم أمر منكلي بغا

- ١١٦. المقرزي، الخطط، مجلد ٣، ص ٢٤٢-٢٤٣؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٢١٤.
- ١١٧. المقرزي، درر العقود، ج ٢، ص ١٩٨. انظر ترجمة الأمير طاز عند: الذهبي، العبر، ص ١٩٩؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٦، ص ٣٨٣؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ٣، ص ٢٥٥؛ المقرزي، درر العقود، ج ٢، ص ١٩٨؛ الخطط، مجلد ٣، ص ٢٤٢-٢٤٣؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٢١٤؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٦، ص ٣٦٢-٣٦٥؛ الدليل الشافي، ج ١، ص ٣٥٧.
- ١١٨. المقرزي، السلوك، ج ٣/١، ص ٢١. لم يذكر المقرزي تاريخ الزواج ولكنه ذكر أن أخت الناصر حسن أنجبت لشيخو ولداً عام ٧٥٦هـ، أي في السلطنة الثانية للناصر حسن.
- ١١٩. يفهم من المصادر أنه قد تزايدت مكانة شيخو في السلطنة الثانية للناصر حسن لكونه مدبر المملكة مع كونه زوج أخت السلطان: المقرزي، الخطط، مجلد ٤/١، ص ٢٦٢؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ١٩٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١/١، ص ٥٥٤. انظر ترجمة شيخو عند: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٦، ص ٢١١؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ٣، ص ٢٠٤؛ المقرزي، الخطط، مجلد ٤/١، ص ٢٥٨؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ١٩٦؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٦، ص ٢٥٧-٢٦٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١/١، ص ٥٦٢.
- جهاز ابنة الناصر محمد التي تزوجت قوصون: المقرزي، السلوك، ج ٢/١، ص ٢٨٨.
- جهاز بنات الناصر محمد عموماً: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ١٧٥.
- جهاز ابنة الأشرف شعبان التي تزوجت منطاش: المقرزي، السلوك، ج ٣/٢، ص ٦٦١؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ٢٥٥.
- جهاز ابنة الناصر فرج بن برقوق التي تزوجت بكنتمر جلق: الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٢٦٣.
- جهاز ابنة الظاهر جقمق التي تزوجت أزيك الظاهري: ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج ١، ص ٢٥٥-٢٥٦.
- جهاز ابنة الأشرف إينال التي تزوجت يونس الأقبائي: ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج ٢، ص ٤٤٨.
- ١١٢. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ٧٩.
- ١١٣. زهراء كانت قبل ذلك زوجة أفسنقر الناصري الذي قتل في عصر المظفر حاجي، ثم تزوجت طاز في مستهل ربيع الآخر ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م، وأقام لها السلطان عرساً يليق بمكانتهما: المقرزي، السلوك، ج ٢/٣، ص ٨٤٠.
- ١١٤. المقرزي، درر العقود، ج ٢، ص ١٩٨؛ الخطط، مجلد ٣، ص ٢٤٢.
- ١١٥. الذهبي، العبر، ص ١٩٩.

للمغاية^{١٢٠}. وفي العام التالي استدعاه السلطان إلى مصر، وجعله نائب السلطان وأتابك العسكر^{١٢١}، ثم زوجه أخته خوند سارة بنت حسين^{١٢٢}. والغريب أن المصادر تشير إلى أن الأشرف شعبان زوج أخته خوند سارة للأمير بشتاك العمري رأس نوبة النوب، وذلك عام ٧٧٠هـ/١٣٦٨م^{١٢٣}، أي بعد أقل من عام من الزواج السابق ذكره. ولم تشر المصادر إلى أن منكلي بغا قد طلق سارة، أو أن من تزوجت بشتاك هي أخت أخرى للأشرف شعبان. أيًا كان الأمر فإن الأمير بشتاك العمري كان من خواص الأشرف شعبان^{١٢٤}، وكان جليل القدر معظماً لديه^{١٢٥}.

كذلك تزوجت أخت المنصور حاجي بن الأشرف شعبان عام ٧٩١هـ/١٣٨٩م من الأمير الكبير منطاش^{١٢٦}. وأيضاً أخوات الناصر فرج بن برقوق الثلاث تزوجن في عصره من كبار الأمراء:

الأخت الأولى هي خوند «سارة بنت الظاهر برقوق»، وقد تزوجت الأمير نوروز الحافظي عام ٨٠٤هـ/١٤٠١م^{١٢٧}، وكان نوروز وقتها رأس نوبة الأمراء^{١٢٨}. واللافت للنظر أنه عندما توترت العلاقة بين الناصر فرج بن برقوق والأمير نوروز الحافظي وخرج نوروز عن الطاعة، استغل الناصر فرج هذا الزواج كوسيلة للانتقام. فقد أشار ابن تغري بردي إلى أن السلطان الناصر فرج - من عظم غضبه وحنقه على نوروز - جمع القضاة في ذي القعدة عام ٨١٤هـ/فبراير ١٤١٢م و«طلق أخته خوند سارة بنت الملك الظاهر برقوق من زوجها الأمير نوروز، وزوجها الأمير مقبل الرومي - على كره منها بعد أن هددها بالقتل - بعقد ملفق من قضاة الجاه والشوكة، فعظم ذلك على الأمير نوروز للمغاية، ولم يحسن ذلك ببال أحد»^{١٢٩}. وبعد قتل الناصر فرج - والذي شارك في تدبيره نوروز - سارت خوند سارة من القاهرة لملاقاة زوجها نوروز، فخرج من دمشق لاستقبالها، وكانت مريضة، فتوجه بها إلى القدس فهاتت ودفنها هناك^{١٣٠}.

وأما الأخت الثانية للناصر فرج فهي «بيرم» التي تزوجت الأمير إينال باي بن قجاس عام ٨٠٤هـ/١٤٠١م^{١٣١}. وإينال هذا هو ابن عم الظاهر برقوق^{١٣٢}، وقد رفاه السلطان وجعله أمير أخور كبير بعد زواجه من أخته^{١٣٣}. وقد

للناصر فرج دون أن يذكر تاريخ الزواج: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص ٢٩٧.

١٢٨. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص ١٩٧. وبعد الزواج جعله السلطان أتابك العسكر: المقرئ، ص ٥١٥.

١٢٩. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص ١٣٢؛ ونفس المعنى ورد عند: المقرئ، ص ٢٠٧.

انظر ترجمة نوروز الحافظي عند: المقرئ، ص ٣٠٧؛ ص ٥١٣-٥١٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٢١؛

الدليل الشافي، ج٢، ص ٧٦٣؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص ٢٠٤-٢٠٥. وترجمة مقبل الرومي عند: ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج٢، ص ٧٣٩-٧٤٠؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص ١٦٧.

١٣٠. كان ذلك عام ٨١٦هـ: المقرئ، ص ١٦٧؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص ٢٤٠.

١٣١. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص ٢٩٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١/٢، ص ٦٤٠.

١٣٢. ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١، ص ١٧٧؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص ٣٢٦.

١٣٣. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص ٢٩٣.

١٢٠. ابن إياس، بدائع الزهور، ج١/٢، ص ٤٢-٤٣.

١٢١. المقرئ، السلوك، ج٣/١، ص ١٥٦.

١٢٢. المقرئ، السلوك، ج٣/١، ص ١٥٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص ٤٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١/٢، ص ٧٤.

انظر ترجمة منكلي بغا الشمسي عند: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٤، ص ٣٦٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص ١٢٤؛ الدليل الشافي، ج٢، ص ٧٤٤-٧٤٥؛ ابن إياس، بدائع

الزهور، ج١/٢، ص ١١٠؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص ٤٣٨.

١٢٣. المقرئ، السلوك، ج٣/١، ص ١٧٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١/٢، ص ٨٢.

١٢٤. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص ٣٧٢.

١٢٥. ابن إياس، بدائع الزهور، ج١/٢، ص ٨٦. انظر ترجمة بشتاك العمري عند: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص ٤٧٧؛

ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص ٣٧٢؛ الدليل الشافي، ج١، ص ١٩٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١/٢، ص ٨٦.

١٢٦. المقرئ، السلوك، ج٣/١، ص ٦٦١.

١٢٧. ابن إياس، بدائع الزهور، ج١/٢، ص ٦٣٩. كما أشار ابن تغري بردي لهذا الزواج في معرض حديثه عن زواج الأخت الثالثة

زادت مكانة إينال باي بعد هذا الزواج حتي أن ابن تغري بردي يقول: «عظم قدره وضخم، وصار له كلمة نافذة في الدولة لزوجاه بأخت السلطان، وسار على قاعدة الملوك من استكثار المماليك والسماط الهائل»^{١٣٤}. وقد اختص إينال باي بالسلطان لقرابته ثم لمصاهرتة؛ فكان السلطان ينزل إلى بيته، ويقيم عنده، ويعاقره الشراب^{١٣٥}. وعندما قتل إينال في غزة، حمل السلطان فرج جثته إلى القاهرة؛ ليدفن هناك؛ «لأنه كان خصيصاً عنده» على حد قول ابن تغري بردي^{١٣٦}. وقد تزوجت خوند بيرم من الأمير أسنبغا الزردكاش بعد وفاة إينال باي^{١٣٧}.

وأما الأخت الثالثة للناصر فرج بن برقوق فهي «زينب»، التي عقد لها أخوها الناصر فرج على الأمير سودون الحمزاوي، وذلك عام ٨٠٥هـ/١٤٠٣م، وكانت زينب وقتها في الثامنة من عمرها^{١٣٨}. وبعد هذا الزواج مباشرة ترقى سودون من الخزندارية إلى رأس نوبة كبير^{١٣٩}. لم تذكر المصادر ما إذا كان سودون قد دخل بزینب أم لا، إلا أنه قتل سنة ٨١٠هـ/١٤٠٧م^{١٤٠}، وتزوجت زينب الأمير شيخ، الذي صار بعد ذلك سلطاناً^{١٤١}. ولم يخرج الظاهر جقمق عن القاعدة؛ فقد زوج أخته للأمير تنم من عبد الرازق المؤيدي عام ٨٥٤هـ/١٤٥٠م، وكان تنم وقتها أحد الأمراء المقدمين وأمير مجلس^{١٤٢}.

ومن الأمثلة السابقة يتضح أن السلطان كان يُعنى باختيار الزوج المناسب لأخته، والذي يكون دائماً أحد كبار الأمراء، مثل أتابك العسكر، أو رأس نوبة النوب، أو أمير مجلس. كما قد يكون اختيار زوج أخت السلطان وسيلة للتعبير عن مدى اختصاص السلطان بالشخص المختار، أو مكافأة له ورفعاً لمكانته.

أم السلطان

كان لأمهات السلاطين مكانة مرموقة في العصر المملوكي، كما كان لبعضهن الكثير من النفوذ، خاصة إذا ما كان السلطان صغير السن. وبالتبعية كان زوج أم السلطان يكتسب مكانة مرموقة في الدولة. ويفهم من المصادر المملوكية أن الزواج من أم السلطان كان يعلي قدر الأمير، ويرفع من شأنه، ويزيد نفوذه. فنجد الأمير أرغون العلائي احتل مكانة مرموقة لدى السلطان الصالح إسماعيل بحكم كونه زوج أمه؛ لذا فبمجرد استقرار الصالح على العرش صار أرغون

١٣٤. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص ٣١٧.
 ١٣٥. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص ٣٠٣. وكان إينال يسكن الإسطنبول السلطاني كعادة الأمير أخور.
 ١٣٦. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٣، ص ٦٧. انظر ترجمة إينال باي عند: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص ٢١٧-٢٢١؛ الدليل الشافي، ج١، ص ١٧٧؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص ٣٢٦.
 ١٣٧. لم تذكر المصادر تاريخ الزواج، ولكن أشار إليه تغري بردي في حوادث سنة ٨١٤هـ، وكان أسنبغا وقتها أحد أمراء الألوفا وشاد الشراب خاناه: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٣، ص ١٢٣. انظر ترجمة أسنبغا الزردكاش عند: السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص ٣١٢.
 ١٣٨. المقرئ، السلوك، ج٣/٣، ص ١١٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص ٢٩٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١/٢، ص ٦٦٦.
 ١٣٩. وذلك في شوال عام ٨٠٥هـ: المقرئ، السلوك، ج٣/٣، ص ١١٠٤.
 ١٤٠. انظر ترجمة سودون الحمزاوي عند: ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١، ص ٣٣٠؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص ٢٧٨-٢٧٩.
 ١٤١. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص ١٠٦.
 ١٤٢. السخاوي، التبر المسبوك، ج٣، ص ٢٢. انظر ترجمة تنم المؤيدي عند: السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص ٤٤.

مدبر الدولة وكافل السلطان ورأس المشورة، كما أنعم عليه السلطان بعشرين ألف دينار ومائتي ألف درهم فضة^{١٤٣}. واحتفظ أرغون بهذه المكانة والحظوة طوال عصر الصالح إسماعيل. وعندما مرض الأخير أراد أرغون أن يعهد السلطان بالملك لأخيه شعبان. ويعلق ابن تغري بردي على ذلك بقوله: «وكان أرغون العلائي المذكور غرضه عند شعبان؛ كونه أيضاً ربيبه ابن زوجته»^{١٤٤}. وهو من خلال هذا الاختيار يسعى للحفاظ على مكانته مدبراً للمملكة وصاحب الأمر والنهي فيها؛ نظراً لكونه زوج أم السلطان، وقد كان له ما سعى^{١٤٥}.

كذلك كان للأmir ألاجي اليوسفي مكانة عظيمة في عصر الأشرف شعبان؛ بسبب زواجه من خوند بركة أم السلطان^{١٤٦}؛ فبعد هذا الزواج رقاه السلطان، وجعله أتابك العسكر بالديار المصرية، وأخلع عليه بنظر البيهارستان المنصوري^{١٤٧}. وتشير المصادر إلى الارتباط الوثيق بين مكانة ألاجي اليوسفي وحياته زوجته خوند بركة أم السلطان شعبان؛ فبمجرد وفاتها انحطت مكانته وتنكر ما بينه وبين السلطان^{١٤٨}. ويعلق ابن تغري بردي على ذلك بقوله: «فعد ذلك عظم قدر ألاجي المذكور من كونه زوج أم السلطان وصار أتابك العسكر، وبهذا استطال ألاجي في المملكة، فإنه قبل زواجه بأم السلطان خوند بركة كان من جملة الأمراء المقدمين لا غير»^{١٤٩}.

أما الظاهر ططر فقد كان مثلاً واضحاً لاستخدام الزواج من أم السلطان كإحدى الوسائل للوثوب إلى العرش. حيث تشير المصادر إلى أنه بعد وفاة المؤيد شيخ واستقرار ابنه المظفر أحمد على العرش، تزوج الأمير الكبير ططر من خوند سعادات بنت صرغتمش أم السلطان المظفر أحمد، فصار بذلك «عم السلطان وزوج أمه ونظام ملكه»^{١٥٠}. وسرعان ما مهد ططر الأمور لنفسه، فعزل السلطان الصغير أحمد بن ططر، ووثب إلى العرش، فانقطعت علاقته بخوند سعادات؛ لأنها كانت مجرد وسيلة للوصول إلى هدفه. والدليل على ذلك تعليق ابن تغري بردي على هذا الحدث بقوله: «فمن يوم خلع ابنها المظفر لم يدخل إليها ططر، ثم طلقها بعد ذلك»^{١٥١}.

ومن كل ما سبق نخلص إجمالاً إلى أن الزواج كان له أهمية خاصة في حياة سلاطين المماليك. وكان لهذه العلاقة أسباب سياسية أحياناً، وانعكاس على أمور الحكم وإدارة البلاد أحياناً أخرى. كما كان اختيار الزوج أو الزوجة المناسبة أمراً في غاية الأهمية بالنسبة للسلطان؛ ويكون الزوج - عادةً - من بين كبار الأمراء في حالة أمه وأخته، بينما يكون من بين أهل الثقة والمقربين من السلطان في حالة ابنته. أما ابن السلطان فعادةً ما تكون زوجته ابنة أحد كبار الأمراء. ومصاهرة السلطان - بصفة عامة - كانت تؤثر تأثيراً واضحاً على مكانة الأمير فتعطي من قدره وترفع من شأنه وتزيد من نفوذه في الدولة.

١٤٣. المقريزي، السلوك، ج٢/ق٣، ص٦٢٠؛ المقفى الكبير، ج٢، ص٢٦؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٧٩.
١٤٤. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١١٧. ونفس المعنى عند: المقريزي، السلوك، ج٢/ق٣، ص٦٧٧.
١٤٥. انظر ترجمة أرغون العلائي عند: المقريزي، المقفى الكبير، ج٢، ص٢٥-
٢٦؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص٣٥٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٨٥-١٨٦؛ الدليل الشافي، ج١، ص١٠٥.
١٤٦. انظر ترجمة خوند بركة عند: المقريزي، السلوك، ج٣/ق١، ص٢١٠-٢١١؛ الخطط، مجلد ٤/ق٢، ص٦٢٦؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص٤٧٤-٤٧٥؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٣٥٥-٣٥٧؛ الدليل الشافي، ج١، ص١٩٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١/ق٢، ص١١٤-١١٥؛ زينب فواز، الدر المنثور، ج١، ص١٨٢. وأيضاً ترجمة ألاجي اليوسفي عند: المقريزي، السلوك، ج٣/ق١، ص٢٣٠؛ الخطط، مجلد ٤/ق٢، ص٦١٨-٦٢٠؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٤٠-٤٤؛ الدليل الشافي، ج١، ص١٤٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١/ق٢، ص١١٩-١٢٠.
١٤٧. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٥٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١/ق٢، ص١١١.
١٤٨. المقريزي، السلوك، ج٣/ق١، ص٢١٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١/ق٢، ص١١٧.
١٤٩. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٥٧.
١٥٠. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١٩٠.
١٥١. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١٩٧؛ ونفس المعنى ذكر عند: ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٧١.

١٤٣. المقريزي، السلوك، ج٢/ق٣، ص٦٢٠؛ المقفى الكبير، ج٢، ص٢٦؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٧٩.
١٤٤. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١١٧. ونفس المعنى عند: المقريزي، السلوك، ج٢/ق٣، ص٦٧٧.
١٤٥. انظر ترجمة أرغون العلائي عند: المقريزي، المقفى الكبير، ج٢، ص٢٥-
٢٦؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص٣٥٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٨٥-١٨٦؛ الدليل الشافي، ج١، ص١٠٥.
١٤٦. انظر ترجمة خوند بركة عند: المقريزي، السلوك، ج٣/ق١، ص٢١٠-٢١١؛ الخطط، مجلد ٤/ق٢، ص٦٢٦؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص٤٧٤-٤٧٥؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٣٥٥-٣٥٧؛ الدليل الشافي، ج١، ص١٩٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١/ق٢، ص١١٤-١١٥؛ زينب فواز، الدر المنثور، ج١، ص١٨٢. وأيضاً ترجمة ألاجي اليوسفي عند: المقريزي، السلوك، ج٣/ق١، ص٢٣٠؛ الخطط، مجلد ٤/ق٢، ص٦١٨-٦٢٠؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٤٠-٤٤؛ الدليل الشافي، ج١، ص١٤٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١/ق٢، ص١١٩-١٢٠.
١٤٧. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٥٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١/ق٢، ص١١١.
١٤٨. المقريزي، السلوك، ج٣/ق١، ص٢١٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١/ق٢، ص١١٧.
١٤٩. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٥٧.
١٥٠. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١٩٠.
١٥١. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١٩٧؛ ونفس المعنى ذكر عند: ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٧١.

ملحق

تاريخ الزواج	الأمراء	ابنة السلطان	ابن السلطان	زوجة السلطان	أخت السلطان	أم السلطان	السلطان
	ابنة فلاوون حسام الدين لاجين	ابنة السلطان	السعيد محمد				الظاهر بيبرس
بعد ٧١٧هـ ٧٢٠هـ	تنكرز نائب الشام أبو بكر بن أرغون قوصون الناصري طغاي تمرالناصري ابنة بكتمر الساقى بشتاك الناصري ابنة طقزدمر الحموي الطنبغا المارداني ملكتمر الحجازي أقسنقر الناصري	إحدي بناته إحدي بناته إحدي بناته إحدي بناته إحدي بناته إحدي بناته إحدي بناته	أنوك أبو بكر	أردونكين ابنة نوفي خوند طغاي طلنباي بنت أزبك ابنة نائب الشام			الناصر محمد
				ابنة طقزدمر الحموي			المنصور أبو بكر
٧٤٣هـ ٧٤٣هـ ٧٤٤هـ	أرغون العلائي بييغا الصالحي			ابنة أحمد بن بكتمر ابنة طقزدمر الحموي	أخت السلطان	أم السلطان	الصالح إسماعيل
٧٤٦هـ ٧٤٦هـ ٧٤٧هـ	أرغون العلائي			ابنة بكتمر الساقى ابنة أخري لبكتمر ابنة طقزدمر الحموي ابنة أحمد بن بكتمر		أم السلطان	الكامل شعبان
٧٥٢هـ	طاز				زهراء		الناصر حسن
	شيوخو العمري تنكرز بغا المارداني			خوند طولوبية	أخت السلطان أخت السلطان		الناصر حسن

تاريخ الزواج	الأمرء	ابنة السلطان	ابن السلطان	زوجة السلطان	أخت السلطان	أم السلطان	السلطان
	أالجاي اليوسفي منكلي بغا الشمسي بشتاك العمري			ابنة الناصر حسن ابنة الأمير طاز ابنة تنكرز بغا ابنة طغاي تمر النظامي ابنة منكلي بغا الشمسي	أخت السلطان أخت السلطان	خوند بركة	الأشرف شعبان بن حسين
٧٨٢هـ- ٧٨٦هـ- ٧٨٨هـ- ٧٩١هـ- ٧٩٤هـ- ٧٩٦هـ-				ابنة طشتمر فاطمة بنت منجك هاجر بنت منكلي بغا شيرين الرومية بنت علي بن أسندمر ابنة أحمد الطولوني تندي بنت حسين فتى باي التركية			الظاهر برقوق
٨٠٤هـ- ٨٠٥هـ- ٨١٣هـ-	تغري بردي نوروز الحافظي مقبل الرومي اينال باي بن قجاس اسنيغا الزردكاش سودون الحمزاوي شيخ يكتمر جلق جرباش الناصري كرد			فاطمة بنت تغري بردي	- سارة - بيرم - زينب		الناصر فرج بن برقوق
٨١٦هـ- ٨٢٣هـ-	ابنة الناصر فرج الطنبغا القرمشي		إبراهيم	خوند قاعة رمضان زينب بنت الظاهر سعادات بنت صرغتمش ابنة تنم الحسني			المؤيد شيخ
	ططر					خوند سعادات	أحمد بن المؤيد شيخ
٨٥٩هـ-				فاطمة بنت قجار خوند جلبان فاطمة بنت ططر ابنة عثمان ملك الروم ابنة يشبك الأعرج			الأشرف برسباي

تاريخ الزواج	الأمراء	ابنة السلطان	ابن السلطان	زوجة السلطان	أخت السلطان	أم السلطان	السلطان
٨٤٢هـ - ٨٤٣هـ	كمال الدين بن البارزى جرباش الكريمي			مغل بنت البارزى زينب بنت جرباش نفيسة بنت دلغادر شاه زاده بنت عثمان جان سوار بنت كرتباي ابنة الزيني عبد الباسط			الظاهر جقمق
٨٥٥هـ - ٨٥٤هـ	الزيني عبد الباسط أزبك من ططخ جانك الظريف أزبك من ططخ تنم أمير مجلس	خديجة فاطمة				أخت السلطان	
٨٢٥هـ	ابنة دولات باي برديك الدوادار يونس النوروزي	بدرية فاطمة	أحمد	زينب بنت علي خاص بك			الأشرف إينال
٨٧٠هـ				شكرباي الأحمدية سورباي الجركسية			الظاهر خشقدم
				فاطمة بنت علي بن خاص بك			الأشرف قايتباي
				مصرباي الجركسية			الناصر محمد بن قايتباي
٩٠٥هـ	الأتابكي جان بلاط			خان كلدي الجركسية مصرباي		أصل باي	قانصوة الأشرفي
٩٠٥هـ						أصل باي	الأشرف جان بلاط
٩٠٦هـ				فاطمة بنت علي بن خاص بك			طومان باي
٩٢٠هـ	ابنة نائب الشام		ابن السلطان				قانصوة الغوري

ثبت المصادر والمراجع

قائمة المصادر

- ابن إياس (أبو البركات محمد بن أحمد، ت ٩٣٠هـ)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، ج١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢؛ ج٢-٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤؛ ج٤، القاهرة، ١٩٦٠.
- ابن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف، ت ٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، ج٧-١٢: تحقيق إبراهيم علي طرخان، د.ت؛ ج١٣، تحقيق: فهم محمد شلتوت، ١٩٧٠؛ ج١٤: تحقيق فهم محمد شلتوت، ١٩٧١؛ ج١٥: تحقيق إبراهيم علي طرخان، ١٩٧٠؛ ج١٦: تحقيق جمال الدين الشيال وفهم محمد شلتوت، ١٩٧٢.
- ، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج١-٢: تحقيق محمد محمد أمين، ١٩٨٥؛ ج٣: تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، ١٩٨٦؛ ج٤: تحقيق محمد محمد أمين، ١٩٨٦؛ ج٥: تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، ١٩٨٨؛ ج٦: تحقيق محمد محمد أمين، ١٩٩٠؛ ج٧: تحقيق محمد محمد أمين، ١٩٩٤.
- ، حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، ١٩٩٠.
- ، الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق فهم محمد شلتوت، دار الوثائق القومية، القاهرة، ١٩٩٨.
- ابن حبيب (الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر، ت ٧٧٩هـ)، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد أمين، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٦.
- ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد، ت ٨٥٢هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجليل، بيروت، ١٩٩٣.
- ابن شاعر الكتبي (محمد بن شاعر بن أحمد، ت ٧٦٤هـ)، فوات الوفيات، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠.
- ابن العماد الحنبلي (عبد الحي بن أحمد بن محمد، ت ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.
- الذهبي (محمد بن أحمد، ت ٧٤٨هـ)، العبر في خبر من غير، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- السخاوي (محمد بن عبد الرحمن، ت ٩٠٢هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
- ، التبر المسبوك في ذيل السلوك، تحقيق لبيبة إبراهيم ونجوى مصطفى، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٣.
- الشوكاني (محمد بن علي بن محمد، ت ١٢٥٥هـ)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.
- الصيرفي (علي بن داود، ت ٩٠٠هـ)، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، دار الكتب، ١٩٧٠.
- ، إنباء المصير بأبناء العصر، تحقيق حسن حبشي، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٢.
- الصفدي (صلاح الدين أبو الصفا خليل، ت ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، النشرات الإسلامية، ج١٦، ٢٤.
- المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي، ت ٨٤٥هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢: تحقيق محمد مصطفى زيادة، مطبعة دار الكتب، ١٩٥٦-١٩٥٧؛ ج٣، ٤: تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، ١٩٧١-١٩٧٢.
- ، المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، بيروت، ١٩٩١.
- ، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٢.
- ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٣-٤، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٢-٢٠٠٣.

قائمة المراجع

- أحمد عبد الرازق أحمد، المرأة في مصر المملوكية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩.
- زينب فواز، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩.
- سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، ١٩٩٤.
- ، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، ١٩٨٧.
- علي إبراهيم حسن، دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر محمد بوجه خاص، مكتبة النهضة المصرية، ط٢، ١٩٤٨.
- قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك، القاهرة، ١٩٧٩.
- ، عصر سلاطين المماليك، دار الشرق، ١٩٩٤.
- منى محمد بدر محمد بهجت، أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي على الحضارتين الأيوبية والمملوكية بمصر، ج١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٢.
- محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، ط١، ١٩٥٦.
- محمود الحويري، مصر في العصور الوسطى، ط١، دار عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ١٩٩٦.
- وليم موير، تاريخ دولة المماليك في مصر، ترجمة محمود عابدين وسليم حسن، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت.
- Doris Behrens-Abouseif, « The Mahmal Legend and the Pilgrimage of the Ladies of the Mamluk Court », *Mamluk Studies Review* 1, 1997.

